سير الزمان

اوربا بعد الحرب الكبرى

— روسيا من لنين الى ستالين —

تحار الحرب

وأزمة في أحبط آمال السلام

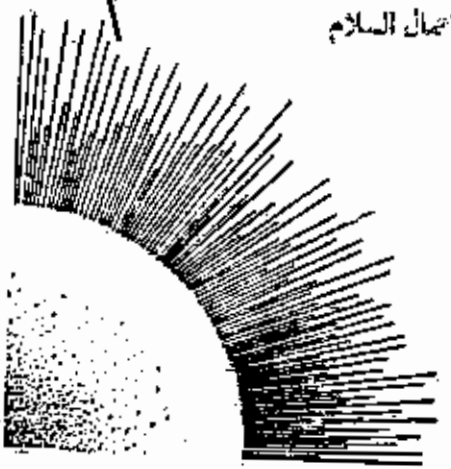

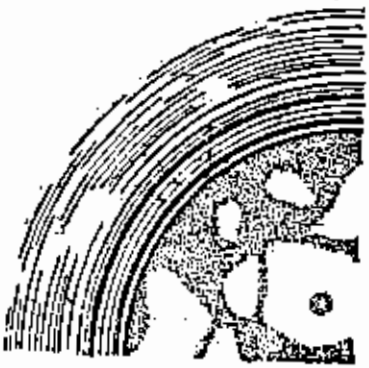

روسيا بعد القيصر (١)

من لنين الى ستالين

لم يلق البلاشفة عناءً كبيراً في تقلد ازمة السلطان . فكادت ثورتهم في نوفمبر ١٩١٧ ان تكون ثورة بلا دم . وتسنى لهم ان يصدوا شبح الجوع ، صدًّا وقتيًّا بمصادرة الطعام . وعقدوا الصلح مع المانيا في برست ليتوفسك . ولكن المشكلات المعقدة كانت لا تزال امامهم ويجب ابداع حلول لها . كيف ينشئون نظاماً شيوعيًّا في بلاد سكانها نحو ١٥٠ مليوناً موزعين في مساحة تقدر بنحو ثمانية او تسعة ملايين من الاميال المربعة ويتكلمون اثنتين وستين لغة مختلفة ؟

كان سقوط القيصر ايذاناً بنشوب حرب اهلية . ولكن لو كان اعداء لنين وصحبه ، محصورين في الروس المقاومين للشيوعية لهان الامر قليلاً على اصحاب النظام الجديد . غير ان الحلفاء كانوا قد عزموا ان يبذلوا ما في وسعهم لنزع السلطان من الحزب الذي حمل روسيا على عقد الصلح مع المانيا فأيدوا الروس البيض (المقاومين للبلاشفة وهؤلاء يعرفون بالروس الحمر) بالمال وفي ربيع سنة ١٩١٨ تناهى الى لنين في بتروغراد ان فرقاً من جيوش الحلفاء والروس البيض كانت تجمع قواها على حدود روسيا لمناصبة البلاشفة العداء .

كان الاميرال كولشاك في الشرق يقود جيشاً من الروس البيض ويحاول ان ينشىء حكومة روسية معادية للبلاشفة في سيبريا . وكان اليابانيون يؤيدونهُ ويشدُّون ازره . بل علاوة على ذلك كان ثمة جيش تشكوسلوفاكي مؤلف من ٤٠ الف جندي يحاول الاتصال به . وكان التشكوسلوفاكيون من ابناء امبراطورية النمسا والمجر ، فرأوا في الحرب الكبرى فرصة سانحة للفوز باستقلالهم . وكان بعض رجال هذا الجيش قد فرَّ الى روسيا ليحارب في صفوف جيشها . وبعضهم كان في صفوف الجيش النمسوي فأسرهم الروس بملء ارادتهم . فلما وقع الانقلاب الروسي ، كان جميع التشكوسلوفاكيين المقيمين في روسيا ، قد نظموا فرقة كبيرة تعرف بالفرقة التشكوسلوفاكية ، وكان البلاشفة قد سمحوا بعودتهم الى بلادهم عن طريق سيبيريا وأميركا ولكنهم اشتبكوا على ما يقال بفريق من مسرّحي الاسرى الالمان والنمسويين فصدرت الاوامر اليهم بالقاء اسلحتهم . فرفضوا وتمردوا على الاوامر فحاول الروس تمزيقهم . اما الذين كانوا منهم في شرق جبال الاورال فتمكنوا من الاجتماع والاتحاد . وأما الذين كانوا الى غرب الاورال فحاربوا حرب اليائس المستميت حتى تمكن معظمهم من الاجتماع

(١) راجع فصل الثورة « الروسية » في هذه السلسلة — مقتطف يناير سنة ١٩٣٤ صفحة ٦٥

برفاقهم . فاستشار الاميرال كولشاك بفلول جيش مستميت يحارب به الروس الحمر

وكانت الحالة في الجنوب تبعث على اليأس ، في نفس غير راسخة العزم . ولكن لنين امتاز بعزمه الحديدي ، وارادته التي لا تقهر . ذلك ان قوزاق مقاطعة الدون كانوا قد انحدروا وانشأوا حكومة ، عرضها مقاومة اية حكومة تحاول ان تنتزع منهم الاملاك التي ما زالوا يتوارثونها من مئات السنين . وفي غرب القوقاس ، قام قائد يدعى دنيكين فجمع جيشاً وحارب به البلاشفة في شتاء سنة ١٩١٨ الى صيف ١٩١٩ وكان في قبضة يده اهم مدن روسيا الجنوبية . وكان دنيكين كالاميرال كولشاك يتناول مدداً ماليًا وعسكريًا من الحلفاء . فقرنسا كانت قد بعثت بفرقة من جيشها الى مدينة اودسا ، والانكليز ارسلوا طائفة من سفنهم الحربية الى باطوم وباكو

اما في غرب روسيا ، فكان الالمان قد أيّدوا فريقاً من شعب اوقرانيا ، فأنشأ حكومة مقاومة للشيوعية . وفي بولونيا ، كان الجنرال بلسودسكي ، على رأس حركة قومية عنيفة بلغت في فتوحاتها مدينة كيف . وفي الشمال كان الانكليز قد انزلوا شراذم عسكرية في مدينة أركنجل ، وكانت بوارجهم رابضة في خليج فنلندا . وكان الانكليز يؤيدون في عملهم هذا قائداً يدعى يودنتش أعدّ خطة لمهاجمة بتروغراد ، في ربيع سنة ١٩١٩ بجيش من الروس البيض والاستونيين والبريطانيين . فلما عرفت في بتروغراد أنباء هذه الخطة ، حدث فيها ذعرٌ أو ماهو من قبيل الذعر . فسكان المدينة كانوا يعلمون انهم لا يستطيعون المقاومة لجعل الشعب يستعدّ لاستقبال الفاتحين . حتى لنين نفسهُ كان قد ضيّع كل أمل في الفوز . وكان في نيته ان يخلي بتروغراد وينقل الحكومة الى موسكو . ولكن تروتسكي اقنعهُ بالصبر ، وبعث بشاب شيوعي من سكان جورجيا — يدعى ستالين — ليجمع جيشاً من عمال المصانع فغار يحشد مجموعة يأسة من الرجال . وقد وصفهم الجنرال كراسنوف ، وهم مسوقون الى القطع عن بتروغراد فقال : «صغار الوجوه ، يعلو جباههم تقطيب ، غائرو الخدود والعيون ، ضيقو الاكتاف ، مرتدون سراويلات طويلة ، وأحذية كبيرة . . . »

ولكن جيش ستالين وتروتسكي الفى الرعب في قلب يودنتش ، فتراجع قليلاً ينتظر المدد الانكليزي . ولكن المدد الانكليزي لم يصل وكذلك انقذت بتروغراد الحمراء

هنا انقلب التيار . ففي الشرق تعذّر على كولشاك ان يجمع بين فرق التشكوسلوفاكيين وجيشه فتمكن الشيوعيون من هزيمتهم ، كل فريق منهم على حدة . وفي الجنوب تلقى ستالين من لنين امراً بانشاء فرقة من الفرسان الحمر ، فأنشأها وردّ بها الجنرال دنيكين الى البحر ، فلم يبق من جيش دنيكين الاّ شرذمة في القريم بقيادة الجنرال فرنجل . ولكن الجيش البولوني ظلّ خطراً يهدّد البولشفية . فردّ الخطر في اكتوبر سنة ١٩٢٠ لما عقدت روسيا الصلح مع بولونيا ، وخرجت ظافرة ، بعد ثلاث سنوات من الحرب والنزاع

وقد يتعذر على الباحث ان يعلل ظفرها . والغالب ان الباعث الاول على ظفر البولشفيك انما

كان تفرّق الكلمة في صفوف أعدائهم . فقد قال المؤرخ الانكليزي ستيفن غرليهم في كتابه عن ستالين ما معناه : كان لا بدّ من انتصار البيض ولكن رأيهم السياسي كان موزّعاً . فما كان يعلمون في سبيل من يحاربون ، أفي سبيل جمهورية دستورية او في سبيل القيصرية . . . . وزادت البلبلة في مجالسهم بوجود وكلاء انكليز وفرنسيين . وجلّ عناية هؤلاء كانت موجهة الى الاعمال المالية الكبيرة لا الى روسيا . اما اعمال الارتكاب والفساد في جيوشهم فكادت تكون علنية . والواقع ان حديث المقاومة للثورة البولشفية حديث يثير الإشفاق على القائمين بها»

وكان يقابل هذا في صفوف البلاشفة اتحاد كلّ الاتحاد ، وحماسة كلّ الحماسة ، في سبيل فكرة عظيمة ، وغاية يرنون اليها ، ألا وهي روسيا الشيوعية . فعوّضهم ذلك شيئاً عما كان يعوزهم من النظام والمؤونة والملابس . ان حكايات انتصاراتهم في هذه الحروب ، لمن أمجاد هذا الجيل من الروسيين . وقصص بعض الابطال الذين استشهدوا في معاركها ، اصبحت أشبه بالاساطير التي تروى عن أبطال القدماء

ثم ان جانباً كبيراً من فلقر روسيا في هذه الحروب ، يرتدّ الى شخصية زعيم البلاشفة الحربي — ليون تروتسكي — فقد قضى تروتسكي سنوات هذه الحروب (١٩١٨ — ١٩٢٠) في القطار متنقلاً من مكان الى مكان ، ومن ميدان الى آخر . كان تحت إمرته ، في ميادين الحروب المختلفة ستة عشر جيشاً روسيًّا ، وكان عليه ان يبقى على صلة بها جميعاً للاشراف على خططها واعمالها ، وليكون صلة بينها وبين الحكومة البلشفية الجديدة . فكنت تراه يوماً في بتروغراد وآخر في سامراء في ممولنسك ففي كيف ففي كرونستاد . ولا تنسَ ان روسيا المترامية الاطراف كانت تحارب في الشرق وفي الغرب ، في الشمال وفي الجنوب فكان تروتسكي في ناحية يجهز الجيش المحارب بضباط يتولون قيادته ، وفي ناحية اخرى يوزع الاحذية والملابس ، وفي ثالثة الخرائط والخطط ، وفي رابعة يحوّل الاسرى من الروس البيض الى فرق عسكرية في الجيش الاحمر بعد ان يلهب نفوسهم بخطبه النارية . وفي خلال كل ذلك كان على اتصال تلفوني دائم بالعاصمة . وكذلك كان وصول قطاره الى أقصى الميادين ايذاناً باتصال الجيش في ذلك الميدان بالجيش الاحمر قاطبة في سائر الميادين . ويقال أنهُ قطع في خلال تلك السنوات مسافة لا تقل عن مائة الف ميل او قد تزيد

ولكن العامل الأكبر في فوز روسيا ، كانت شخصية لنين لأن جميع اعمال الحكومة كان مرجعها اليه

وكان انتهاء الحرب ، ايذاناً للزعيم لنين بمواجهة أعقد المشكلات . ففي خلال الحرب ، كان حكمهُ قائماً على اساس من دكتاتورية عسكرية شيوعية ، فكل ما تحتاج اليه الدولة من المؤن والذخائر ، كانت تصادره . بل كانت الحكومة تتناول المواد الخام من المنتج وتوزع عليه — على قدر — الخبز والملابس والاحذية . فكان هذا النظام قريباً بعض القرب من المثال الذي بنيت عليه

جمهورية أفلاطون . ولكن الفلاحين لم يقتنعوا بأن يعملوا مجاناً لا يجنون منهُ ربحاً ما . وكانوا علاوة على ذلك يلومون الحكومة ، كلما اضطرب أمرٌ من أمورهم او اختلَّ شأن من شؤون حياتهم . ففي السنتين اللتين تلتا الحرب الاهلية أصيبت روسيا بجفاف أضرَّ ضرراً بالغاً بمحصول سنة ١٩٢١ فمات ملايين من الفلاحين جوعاً . فرأى لنين بعبقريته النافذة ، ان الفلاحين لا بدَّ ان يحجموا عن الزرع لمحصول السنة التالية ، الاَّ اذا أرضاهم بعض الارضاء . وكانت الطريقة الفردة لحملهم على الزرع ، وعدهم بجانب من الربح . ولكن ذلك يعني التخلي عن بعض المبادىء الشيوعية الاساسية ، والارتداد الى أصول الحكم الذي قضى عليهِ لنين وصحبهُ

وكذلك وجد لنين نفسهُ في مأزق . أيتخلى عن مبادىء حزبهِ ، او يتمسَّك بها وهو مقتنع بأن تمسكه يعني امتناع الزرّاع عن الزرع ؟ ومما يدلُّك على جرأة لنين انهُ فضَّل الاول ، وهو يعلم ان ذلك الى حين ، فأعلن خطة اقتصادية جديدة تعرف بهذا الاسم عند الافرنج ويرمز اليها عادة عند الانكليز بالحروف اللاتينية الثلاثة N. E. P. أي New Economic Policy ومقتضى هذه الخطة اذن للفلاحين في ان يحتفظوا بمحصولهم ، وان يبيعوه في الاسواق بأنفسهم ، وفرض طبعاً على المحصول ضريبة تجبيها الحكومة . ولكنهُ سلَّم بمبدإ الملك الخاص ، وهو ما يتنافى مع مبادىء الشيوعية . اما الشيوعيون المستقيمو الرأي فرأوا في خطة لنين الجديدة قضاء على الشيوعية ، وكان تروتسكي في مقدمتهم . الاَّ ان لنين كان يعلم ان هذه الخطة هي الطريقة الفردة لاجتناب الموت جوعاً . فلما كانت سنة ١٩٢٤ وقد نسي الناس الجوع وشبحهُ ، شرع لنين يتراجع رويداً رويداً عن الخطة الاقتصادية الجديدة ، واخذ ينشىء تدريجاً ، الشيوعية الخالصة من شوائب الملك الخاص . فشجع الفلاحين على انتاج حقولهم الصغيرة في حقول كبيرة ، يكون ملكها مشتركاً بينهم . وأغراهم بعد ذلك بتوزيع الارباح المشتركة في المزارع المندمجة على أصحابها . أما في المدن فكانت الدولة مسيطرة على المصانع ، لان أصحابها ما كانوا يستطيعون انشاءها او العمل فيها الاَّ باعتمادات تفتح لهم في البنوك . والبنوك كانت ملك الدولة . وكذلك تحوَّلت القوى الاقتصادية في روسيا رويداً رويداً الى الخضوع لسيطرة الحكومة ، فأصبح الدولة الروسية دولة اشتراكية ، نظراً وفعلاً

وبعد ما فاز لنين بحلّ المشكلتين الحربية والاقتصادية ، واجه المشكلة السياسية . هنا أمة عدد ابنائها نحو ١٥٠ مليوناً يتكلمون نحو ٦٢ لغة ، فكيف ينشىء منها دولة اشتراكية مندمجة بالمعنى السياسي ! فكان ردُّ لنين : حكومات سوفيتية (مجالس عمال) مستقلة استقلالاً ذاتيًّا ، وللحزب الشيوعي الروسي ، الاشراف والسيطرة عليها

فعهد في كل قرية وكل مدينة ، الى مجلس سوفيتي في الاشراف على حكومتها المحلية . وفرض على كل مجلس سوفيتي في القرى والمدن ان يبعث بممثليهِ الى المجلس السوفيتي الخاص بالمقاطعة ، ومجالس المقاطعات تبعث بمندوبيها الى مجلس الولايات ، ومجالس الولايات تبعث بمندوبيها الى مجلس

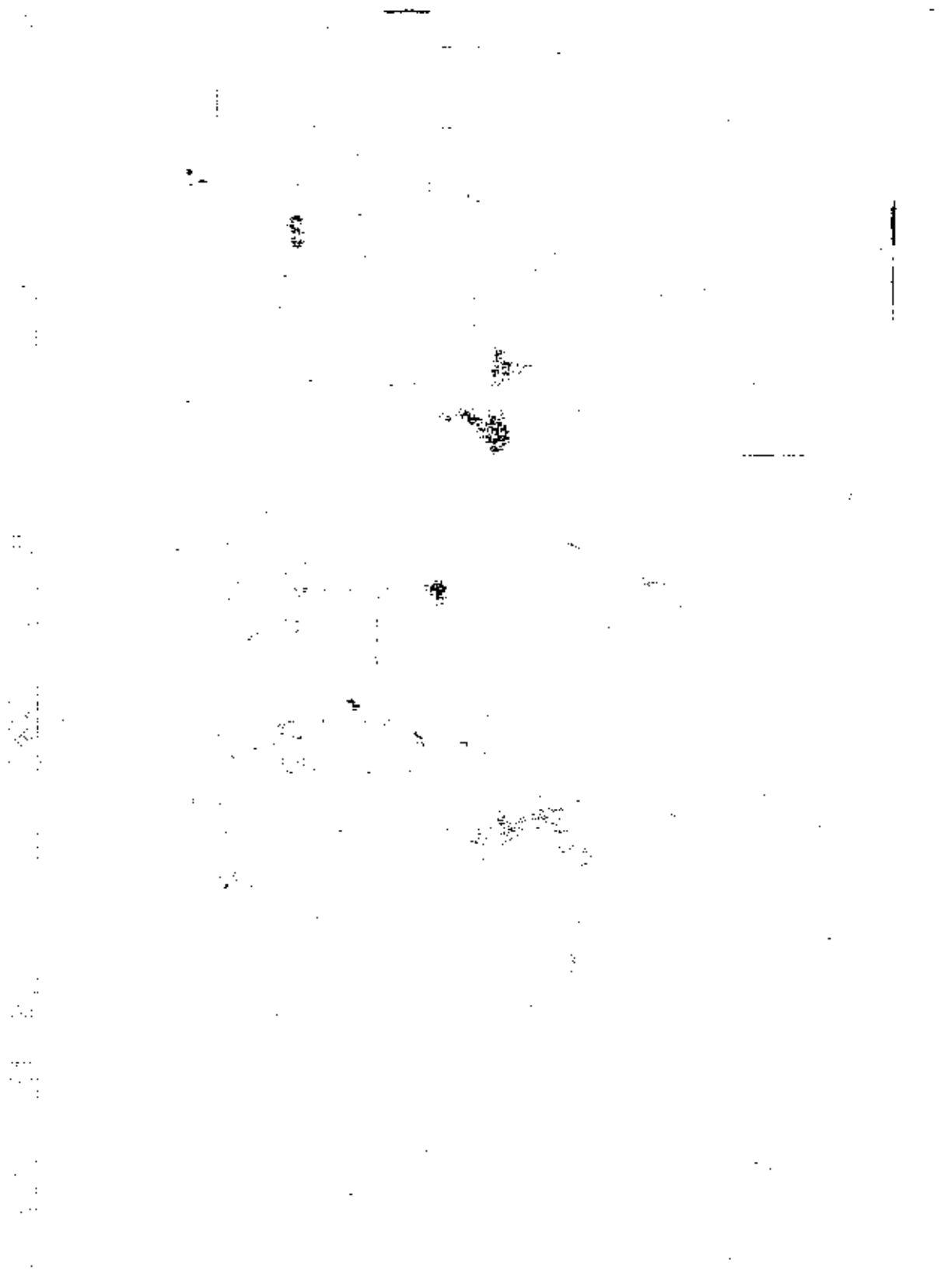

ستالين

تروتسكي

لتروتسكي ... ما بعد روسيا ... والقارة ... والعربي ... مصري
مقتطف أكتوبر ...

السوفيت الاتحادية الجمهورية. وقسم البلاد الى ست جمهوريات — هي جمهورية روسيا وجمهورية روسيا البيضاء، وجمهورية اوكرانيا، وجمهورية بحر القوقاس (وهي مؤلفة من جورجيا وارمينيا وازربيجان) وجمهورية أوبك وجمهورية التركمان. من هذه الجمهوريات انت ينتخب اتحاد الجمهوريات السوفيتية، وهو ما يعرف اليوم عادة باسم روسيا عند ما تقول مثلاً ان انقيرف وزير خارجية روسيا — وترمز لروسيا عادة بالحروف التالية U. S. S. R. فكل جمهورية من هذه الجمهوريات تبعث بممثليها الى مؤتمر اتحاد السوفيت الاعلى، والمؤتمر ينتخب لجنة لتصريف شؤون الاتحاد، تعرف باللجنة المركزية للقومسارين. ولتشيتوف في هذه اللجنة قومسير الشؤون الخارجية

ولولا الحزب الشيوعي وسيطرته على المجالس السوفيتية من ادناها الى اعلاها، لتفرق شملها ولغلبت عليها الثرثرة. والحزب الشيوعي فريق مختار من الرجال والنساء قد لا يزيد عدد اعضائه على المليون كثيراً. وهم يتصفون بالحماسة لنظامهم الجديد وبمعرفة مبادئه وأساليبه، وخاضعون لنظام دقيق ازمته في ايدي لجنة الحزب المركزية. وكذلك يتاح للجنة الحزب المركزية ان تسيطر على اعمال كل مجلس سوفيتي في روسيا فتصدر المجالس قرارات في الشؤون المختلفة بحسب التعليمات الواردة اليها من هذه اللجنة. ولنين نفسه لم يكن رئيساً لاتحاد جمهوريات السوفيت بل سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعي، وهذا المنصب جعله دكتاتور روسيا، وقد خلفه ستالين فيه بعد موته

ثم وضع دستور اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في سنة ١٩٢٣ ولكن الجهد الذي بذله لنين في معالجة مشكلات روسيا الكبرى من ناحية الفلسفة الشيوعية، كان فوق طاقة الجسم البشري وكان في سنة ١٩٢٢ قد اصيب بشلل موضعي فلما تم وضع الدستور الجديد، كان جسمه قد اقوى فتوفي في يناير سنة ١٩٢٤ ولكن روسيا كادت لا تصدق ان لنين قد مات. كان قد مضى عليه ست سنوات وهو حاكمها المطلق. بل هو الذي انشأها على المثال الجديد، وأفرغها في هذا القالب الفذ. انقذها من القيصر ومن الدول المركزية ومن دول الحلفاء، ومن الموت جوعاً ومن التفرقة والانحلال السياسي. كان الروسيون يصغون الى خطبه باجلال ويقرأون كتاباته باحترام. كان لنين بطل جيل بأسره من الروس. فكيف يموت هذا الرجل؟!

***

نظر شيوعيو روسيا بعين الاحتقار والامتهاق الى الدول الاوربية وهي تحاول ان ترمم حضارتها بعد ما كادت الحرب الكبرى ان تأتي عليها. فالنزعة الوطنية التي اكتسحت اوربا الوسطى لم تكن في رأيهم الا عذراً لظلم الاقليات وتوطئة لحروب وطنية مقبلة. والنزعة الامبريالستية التي سادت بريطانيا وفرنسا كانت عندهم، وسيلة للاستبداد بالشعوب المتأخرة وتمهيداً لحروب امبريالستية قادمة. والنظام الاقتصادي القائم على المزاحمة والمنافسة لم يكن الا اسلوباً من اساليب تجميع الثروة في ايدي الطبقة العليا من المجتمع الاوربي والاستبداد بالعمال. اما في اتحاد جمهوريات روسيا

السوفيتية فكانت جميع القوميات والطبقات متساوية في الحقوق . فليس ثمة طبقة تسيد بطبقة لان جميع الروس كانوا طبقة واحدة . ذلك ان جميع الروس كانوا عمالاً

ولكن هذه النظرة لم تمن ان الشيوعيين حلوا جميع مشكلاتهم . بل الواقع انهم كانوا في مطلع الكفاح لحلها . وكان لنين قد عين الاغراض التي يتجه اليها الحزب الشيوعي الروسي ، وخص بالذكر منها غرضين : اما الاول فتنظيم اتحاد جمهوريات روسيا السوفيتية ، حتى يرتفع مستوى المعيشة فينعم كل واحد من السكان البالغين ١٦٠ مليوناً ، بالرغد والرخاء . وأما الآخر فهو نشر التعاليم الشيوعية حتى تعم الثورة الشيوعية انحاء العالم

فايُّ غرض من هذين الغرضين يتقدّم على الآخر ؟ هذا هو السؤال على قول هملت . فكان رأي تروتسكي ، ان الشيوعية ، دولية في نزعتها ، واذاً فالواجب على الشيوعيين الروس ان يبذلوا ما في وسعهم لاحداث الثورة العالمية . وكان شعاره شعار الاشتراكيين القديم : « يا عمال العالم اتحدوا » . غير ان لنين كان يعتقد ان الغرض المتقدّم ، انما هو تنظيم روسيا على اساس اشتراكي . فاذا تمّ ذلك امكن الاهتمام بالغرض الآخر واصبح تحقيقه اهون منالاً . فاذا حاول الروس احداث الثورة العالمية قبل تنظيم بلادهم ، لم يكن من شأن الشيوعية الاّ احداث فوضى عالمية . وكذلك قرر لنين ان ينصرف عن السعي لاحداث الثورة العالمية ، الى العناية بتحقيق سياسته الاقتصادية الجديدة فأعاد الى الحياة الاقتصادية الروسية ، شيئاً من نزعة المنافسة الرأسمالية في الصناعة والتجارة ، لئلاّ ينفر منهُ جماعات الفلاحين المحافظين

فلما توفي لنين في سنة ١٩٢٤ اعيد النظر في السؤال نفسه : اتقدم الثورة العالمية على تنظيم روسيا الاقتصادي او تسير روسيا بحسب الخطة التي وضعها لنين قبيل وفاته ؟ وكان المرجح ان يخلف تروتسكي زعيمه لنين . ولكن زعماء الحزب الشيوعي الروسي ، كانوا قد اخذوا يشكون في صلاح تروتسكي لمنصب الزعيم ، لشدة معارضته في خطة لنين هذه ، ولقوة ايمانهم بها . وكان كمنيف وزينوفيف من اتباع لنين وأيدهم في ذلك سكرتير لنين المعروف باسم ستالين . فتمكن هؤلاء الثلاثة من اخراج تروتسكي من الحظيرة المختارة في الحزب الشيوعي . وتسلموا هم مقاليد الامور . ولكن حكم الثلاثة لم يدم طويلاً . فقد كان كمنيف وزينوفيف من رجال الثورة والشغب المشرسين بأساليبها . ولكن الحزب الشيوعي حينئذ كان لا يحتاج الى امثالهم من الرجال ، بل كان في حاجة اشد الى رجال يحسنون الادارة والتنظيم . فما لبث ستالين حتى اسقطهم من مكانهم وأصبح هو وحده يحكم الحزب الشيوعي ، بل وروسيا كما فعل لنين حكماً دكتاتورياً

كان ستالين ، مجهولاً عند سواد الروسيين ، عند ما تسلم مقاليد الحكم ، بل وكان من قبل يعرف في صفوف الحزب الشيوعي باسم « سكرتير لنين العام » . ولكنه في الواقع كان قد بذل احسن سني حياته ، من مطلع القرن العشرين ، في سبيل الشيوعية

وهو ليس روسي المولد . بل مسقط رأسه ولاية جورجيا في القوقاس . ولد سنة ١٨٧٩ من صانع احذية يدعى دوجاشفيلي ، وكل جل رجاء والده ، ان يصبح ابنه قسيساً . ولكنهُ لم يدرك العشرين من العمر ، ادركه كتاب ماركس فقرأه . وفي سنة ١٩٠٣ التقى بلنين فتم اعتناقه للمذهب الشيوعي . وبدلاً من ان يصبح قسيساً مسيحيًّا ، اصبح مبشراً بالشيوعية . فمضت عليه سنوات ، وهو يعمل في هذه السبيل في مدينة تفليس ، في صمت وهدوء . وقبض عليه ما لا يقل عن خمس عشرة مرة فنفي او سجن . وكان في كل مرة يفر من السجن او من المنفى . فاطلق عليه لنين لقب «الرجل الصلب» — ومن هنا اللقب الذي اشتهر به اي «ستالين» . فلما كان شهر يونيو سنة ١٩١٧ سنحت له فرصة للظهور . وكان الحزب الشيوعي في حاجة ماسة الى المال . فعلم ستالين ان مبلغاً كبيراً من المال — مقداره ٢٤٠ الف روبل — على وشك ان ينقل الى بنك في تفليس . وان اوراق النقد سوف تكون في كيس يحمله الصراف وتحرس مركبته سيارة بوليس وزمرة من فرسان القوزاق . فلم تكد العربة تخرج من المحطة يحيط بها الحرس ، حتى انفجرت قنبلة تحتها ، فانقذف الصراف من العربة ، واطلقت الخيل العنان ، واضطرب الحرس واختلط الحابل بالنابل ، وغار رجال ستالين بالمال

عند ذلك اصبح ستالين محل ثقة الزعيم لنين . وهو من ناحيته ايد زعيمه بوجوب الاعتماد على العنف في اغتصاب مقاليد الحكم . وسار وراءه في انقلاب اكتوبر سنة ١٩١٧ . وفي خلال الحرب الاهلية كان لنين يعهد اليه في ادق الامور . ولما هددت جنود الروس البيض مدينة تسارتسن ، نظم ستالين شؤون الدفاع عنها . فصمدت في وجوه المحاصرين . وظل فيها يثير روح الحماسة ويتولى اسباب النظام حتى استدعاه تروتسكي غيرة منه على ما يقال . وقد كان الدفاع عن هذه المدينة من عجائب اعمال البولشفيك في الحرب الاهلية . لذلك اطلق عليها بعد انتهاء الحرب اسم ستالنغراد نسبة الى ستالين ، منظم الدفاع عنها . وفي سنة ١٩١٩ بعث بستالين لمقاومة الاميرال كولشاك في سيبيريا . فلما هدد يودنتش مدينة بتروغراد استدعاه لنين الى مركز القيادة العامة . ثم لما هاجم الجنرال دنيكين المنطقة الصناعية في حوض الدونتز ، ارسل ستالين للدفاع عنها ، فنظم فرقة من القوزاق الحمر ، واكتشف جنديًّا عبقريًّا لقيادتها يدعى بودني ، فطرد دنيكين من تلك المقاطعة ولكنهُ استشهد بعيد ذلك فأصبح اسمهُ علماً من أعلام الوطنية الجديدة ونسج حولهُ خرافات سداها ولحمتها أحاديث البطولة والشجاعة والاستشهاد

وفي سنة ١٩٢٢ خلا منصب السكرتير للحزب الشيوعي فعرضهُ لنين على تروتسكي فرفضهُ ولكن ستالين قبلهُ لانهُ ادرك ان هذا المنصب يقربهُ من لنين السكرتير العام ، ويمكنهُ من القبض على اعنة الحكم متى سقطت من يدي الزعيم . وقد كان ما توقع

تجار الحرب

اصحاب مصانع الاسلحة خطر على السلام

منذ ما وضعت الحرب اوزارها وانظار الشعوب تتوالى ما وعدهم به رجال السياسة من ان الغرض من الحرب الكبرى انما هو القضاء على الحروب او بكلام الرئيس ولسن الغرض منها « ضمان سلامة العالم للحياة الدمقراطية » . لذلك توالت المحادثات في موضوع نزع السلاح وتحديده من مؤتمر وشنطن البحري (سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢) الى مؤتمر نزع السلاح الذي اصبح في عرف الناس جميعاً مؤتمراً للتسلح . في خلال هذه السنين ، اذ كان الوزراء ودعاة السلام يتحدثون في نزع السلاح في عواصم الدنيا الكبرى ، في وشنطن ولندن وباريس وروما وطوكيو ، كانت مصانع السلاح ، تصنع المدافع والدبابات والطيارات والغروع والقنابل والغازات الخانقة والكلمات الواقية منها ، بل ان اصحاب هذه المصانع ، كثيراً ما روّجوا اشاعات الحروب ، ونشروا الدعايات الفاغمة على أنباء مختلقة في صحف اشتروها بالمال ، لكي يثيروا المخاوف في صدور الناس ، ويحملوا الحكومات المتنافسة على شراء الاسلحة والذخائر واعدادها لليوم العصيب . هؤلاء هم تجار الحرب الذين يثرون من تأجيج نيرانها ، فلا يتورعون عن أية وسيلة في سبيل تأجيجها

***

ولعل المستر هندرسون رئيس مؤتمر نزع السلاح وهو الداعية الجوالة للسلام في عواصم اوربا ، من أدرى الناس بما يصنعهُ هؤلاء التجار . فمن عهد قريب ، اذ كان هندرسن يعد حقائبه ليسافر الى باريس فالى جنيف ، ليسعى مساعيه الصادقة في سبيل نزع السلاح ، والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة ، وقف اثنان من مواطنيه في جماعة من حملة الاسهم في شركتيهما ، فألقيا خطبتين نزلتا كصاعقتين على رأس هندرسن فثبطتا من عزمهِ وفلّتا من نشاطهِ ، لانهُ ادرك حينئذٍ أن قوى عظيمة تعمل من وراء ستار على احباط المساعي العظيمة التي يبذلها . هذان الرجلان هما السر روبرت هدفيلدز رئيس شركة هدفيلدز ليمتد والسر هربرت لورنس رئيس مجلس ادارة شركة فكرز وكلتا الشركتين من اكبر شركات صنع السلاح في بريطانيا

فالسر روبرت هيدفلدز ، قال في التقرير الذي قدمهُ للساهمين عن الارباح التي ينتظر توزيعها :

« ولحسن الحظ اتجهت الاحوال اتجاهاً طيباً بعد وقوع الازمة العالمية ، واننا لشاكرون للنعم التي حبينا بها . بل ان شكرنا لأعظم ، للنعم التي نتوقعها » ثم قال : —

« من عهد قريب صنعت شركة هدفيلدز قنبلة قطرها ١٥ بوصة ووزنها طن ..... فلما اطلقت على درع معينة اخترقتها مزيلة في اختراقها ماوزنه ٧٣٥ رطلاً من الصلب القاسي . وظلت بعد

اختراقها الدرع حائزة لسرعة مكنتها من الانطلاق مسافة تسعة اميال . هذه القنبلة تضع في ايدي المهاجمين قوة عظيمة لا توصف » . اما زميله السر جيرارد لورنس فقد اعلن في جلسته ان الشركة ربحت في السنة السابقة ما يزيد على نصف مليون من الجنيهات ، وان مجلس الادارة ينوي ان يوزع ارباحاً قدرها ٤٠ في المائة . ثم قال ان من بواعث سرور ورضاء ، ان الطلبات على الاسلحة من شركة فكرز التي يرأس مجلس ادارتها قد زادت زيادة كبيرة في تلك السنة

﴿ سوق السلاح ﴾ وقد انعشت سوق الاسلحة والذخائر الحربية انعاشاً عظيماً ، بعد التقدم العظيم الذي طرأ على ادوات الحرب وأساليبها من الوجهة الصناعية والعلمية . فالجندي الكامل العدة في العصر الحديث ، ليس الا معملاً علمياً متحركاً ، ورغماً عن خطب رجال السياسة ، في سنة ١٩١٩ على أثر انتهاء الحرب ، وتسليمهم جميعاً بان الاحتفاظ بالقوى المسلحة في المستوى الذي كانت فيه لا بدّ ان يسفر عن نشوب حرب اخرى ، نرى جيوش اليوم وهي اوفر عدة ، وأشد بطشاً من جيوش سنة ١٩١٩ . ومع ان عدد الرجال في الجيوش ما يزال عنصراً خطيراً في تنظيم كل جيش ، الا اننا نرى ان التقدم العلمي والصناعي في صناعة الاسلحة الهجومية والدفاعية قد حوّل مركز الثقل في تنظيم الجيوش من الرجال الى الاسلحة . ويقدر ما ينفق على جيوش الامم وأساطيلها الجوية والبحرية كل سنة بنحو الف مليون جنيه . من هذا المبلغ ١٥ في المائة من ميزانيات الجيوش و ٥٠ في المائة من ميزانيات الأساطيل، ينفق على الاسلحة والذخائر المختلفة

هذه الجيوش المجهزة باحدث وسائل الحرب ، هي الميدان الذي يتجه اليه أصحاب مصانع السلاح لترويج بضائعهم ومصنوعاتهم . واليك التقدير التقريبي التالي للجيوش الاوربية

	عدد الرجال		عدد الرجال
فرنسا	٧١٧٧٥٠	يوغوسلافيا	٢١١٥٩٢
بلجيكا	٨٠٣٨٤	رومانيا	٢٤٠٥٠١
بولونيا	٢٦٥٩٨٠	ايطاليا	٤١٤٨٥٩
تشكوسلوفاكيا	١٥١٤٣٥	روسيا	٥٦٢٠٠٠

أما المانيا فجيشها النظامي بحسب معاهدة فرساي يبلغ مائة الف جندي، ومن وراء هؤلاء الآن مليونان ونصف مليون من فرق الهجوم وفريق كبير منهم بحسب اعتراف قوّادهم قد اتخذ رويداً رويداً شكلاً عسكرياً . وهذه الارقام لا تشتمل على نحو ٣٥ مليون جندي من الجيوش الاحتياطية المدربة في بلدان اوربا المختلفة التي تقتضي اعداد المعدات لها وخزنها حتى يمكن استعمالها يوم تنشب الحرب . والمعدات تتباين من المدافع والقنابل الى الرشاشات والدبابات الى قنابل الغاز والكمامات الواقية منها . وهذه جميعها تصنعها مصانع الاسلحة وتبيعها للدول

﴿ النفقات البحرية ﴾ أما النفقات البحرية ، في الدول البحرية الكبرى ، فعظيمة جداً .

نفقات بريطانيا البحرية قد زادت من ٥١ مليوناً من الجنيهات في سنة ١٩٣١ الى ٥٥ مليوناً ونصف مليون في سنة ١٩٣٤ . وميزانية اليابان البحرية قد زادت من ٣٢٧ مليون ين في سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٢ الى نحو ٤٨٨ مليون في سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ وينتظر ان تبلغ ٦٠ مليون ين في سنة ١٩٣٦ أما نفقات الولايات المتحدة البحرية فقد قدرت بنحو ٦٧ مليون جنيه لسنة ١٩٣٤ وبنحو ٦٥ مليون جنيه لسنة ١٩٣٥ وما ٧٠ مليون جنيه لسنة ١٩٣٦

ولما كانت هذه الاموال تنفق على ما يقال في سبيل الدفاع ، وحماية مصالح الدول التي تنفقها فمن المعقول ان تتوقع من الحكومات ان يكون لها مصانعها الخاصة لصنع الاسلحة المختلفة ، كما تحتفظ كل دولة بحقها في ضرب النقود . ولكن الواقع ان الحكومات المختلفة ، تعتمد في الغالب على مصانع الاسلحة التابعة لشركات خاصة ، وتسمح لهذه الشركات في ان تبحث عن أسواق لمصنوعاتها ، عندما تستطيع ان تنتج منها علاوة على ما تحتاج اليه حكومتها ، حتى تبقى هذه المصانع مستعدة لتجهيز حكومة بلادها بما تحتاج اليه عند نشوب الحرب . وهنا تجد مفارقة عجيبة في صناعة السلاح . البوارج ، والطيارات ، والدبابات ، والرشاشات ، والمدافع ، والقنابل ، والغازات — جميع هذه الاسلحة رمز للنزعة القومية الشديدة . ولكن أصحاب المعامل التي تصنعها لا يؤمنون الا بالنزعة الدولية ، لأنهم يريدون ان يبيعوا أسلحتهم الى أكبر عدد من الدول ، سواء أكانت صديقة لبلادهم ام خصماً لها . ومع ذلك نجد انّ لاصحاب هذه المصانع كلمة خفية ، ولكنها كلمة مسموعة ، في المجامع التي تقرّر فيها الخطط العليا التي تجري عليها دولهم في السياسة العالمية

﴿ مصانع الاسلحة الشهيرة ﴾ ليست أسماء هذه المصانع مشهورة شهرة وزراء الخارجية الذين يلقون الخطب الرنانة في وجوب خفض السلاح والتعاون لمنع الحرب والتضافر على رفع مستوى الحياة الانسانية بتعزيز السلام وتوفير اسباب العمل لبنيها ، ولكن أثر هذه الاسماء قد لا يقل عن أثر وزراء الخارجية اصحاب الخطب الرنانة !

والواقع ان عدد المصانع المسيطرة على تجارة الاسلحة قليل قد لا يعدو اصابع اليد الواحدة وفي مقدمتها جميعاً شركة فكرز البريطانية ، ولهذه الشركة فروع كثيرة وغالب ما تخرجه من الاسلحة تبيعه للحكومة البريطانية ولكنها لا تمتنع عن تلبية طلبات الحكومات الاجنبية وهي مثل جميع مصانع الاسلحة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحكومة البريطانية ورئيس مجلس ادارتها الآن كان ضابطاً كبيراً من ضباط الجيش البريطاني . ومن الشركات المتصلة بها او التي من قبيلها شركة «أسبردال كيكلز» التي تخصصت في ادوات الحرب الكيمائية ، علاوة على صنع الاسلحة

أما في فرنسا فشبه اتحاد لصناع الاسلحة يعرف باسم «كوميته ده فورج» ورئيس مجلس ادارته رجل يدعى فرسوي وندل وهو من اصحاب النفوذ العظيم في دوائر السياسة الفرنسية . وأهم شركة داخلة في هذا الاتحاد شركة «شنيدر كروزو» التي تبيع اسلحتها لحكومة فرنسا وسائر بلدان العالم

وقد قست معاهدة فرساي ان تفكك المانيا معامل الاسلحة فيها كمعامل كروب وسيمنز ولكن يقال الآن — وقد اعترفت الحكومة الالمانية بذلك ضمناً في مذكرتها بتاريخ (١٦ نيسان سنة ١٩٣٤ للحكومة البريطانية) — بأنها ماضية في التسلح . والاحصائيات التجارية تدل على ان المانيا تصدر أسلحة وذخائر ، وتستورد المعادن المختلفة وبعض الادوات اللازمة في صناعة الاسلحة

وأهم معمل للاسلحة في اوربا الوسطى قائم في تشكوسلوفاكيا ويعرف باسم معمل سكودا وله فروع مختلفة في مدن مختلفة في رومانيا وبولونيا ، وهو خاضع لمعمل شنيدر كروزو الفرنسي . وهذه الظاهرة اي ظاهرة اتحاد معامل الاسلحة الدولية من اغرب الظاهرات في هذه الصناعة التي يقال فيها ان غرضها الاول انما هو اعداد معدات الدفاع عن البلاد التي يكون المعمل فيها ، بل لقد قيل ان لشركة شنيدر كروزو حصة كبيرة في اتحاد المانى لصنع السلاح

هذا في اوربا — فكرز وشنيدر كروزو وسكودا في المقدمة — اما في الشرق الاقصى فمصانع متسوي في اليابان اهمها : وهذه المصانع مشتركة او متحدة بمصانع فكرز الانجليزية . ومع ان في ايطاليا وبلجيكا مصانع للاسلحة ، الا انها لا تبلغ في مقامها الدولي مقام المصانع التي ذكرناها

اما في الولايات المتحدة الاميركية فلست تجد كذلك شركات ضخمة لصنع الاسلحة من مقام فكرز ولكن ٩٥ في المائة من معدات الجيش الاميركي تصنع في مصانع شركة بيت لحم (اي مفارقة في اطلاق اسم بيت لحم حيث ولد عيسى على شركة لصنع السلاح !) وشركة دوبون . وهذه الاخيرة اختصت بالاسلحة الكيمائية

﴿ المصانع والعداوات القومية ﴾ من يطلع على البرقيات التي تنشرها الصحف العربية كل يوم ، يدرك مبلغ العنف والحدة في العداوات القومية في اوربا ، ولكن اصحاب مصانع الاسلحة لا يأبهون لذلك كثيراً ، فانهم يبيعون اصدقاء بلادهم كما يبيعون اعداءها . وثمة في تجارة الاسلحة شيء لا تراه في غيرها ، فزيادة الطلب على احدى الشركات ، لا يعني ان الشركات الاخرى تحرم منه ، بل ان الزيادة تشمل جميع الشركات على السواء ، بل تكون باعثاً على توسيع نطاق الطلب لان الدولة الواحدة التي توصي بصنع قدر من الاسلحة في احد المعامل ، لا تلبث ان ترى مزاحمتها وقد اوصت على قدر اكبر منها في معمل آخر . واذا استنبطت شركة من الشركات وسيلة حربية جديدة تسرع جميع الامم الى شرائها لكي لا تحرم من ميزاتها ، فلا تلبث ان تستنبط شركة اخرى ، وسيلة جديدة لمناوئتها ، فتقبل جميع الدول التي اشترت الاسلحة الاولى على شراء الاسلحة الجديدة . وهذه الحقيقة في تجارة الاسلحة ، افضت الى التعاون بين شركات الاسلحة في مختلف الاقطار ، ومن هذا التعاون تنشأ المخاطر التي تهدد السلام . ذلك ان مصانع السلاح بهمها ، ان تنشىء جواً من الريبة والخوف يحمل الدول على التسلح

وكانت جمعية الامم قد عينت لجنة سنة ١٩٢١ للبحث في هذا الموضوع فأمعنت على سنين

الاسلحة بالهوى الشديد ، وقالت ان هذه الصحف عملت على تهيئة الرأي العام لقبول الحرب ، ووضعوا مؤلفي الكتب والمقالات ورسامي الكاريكاتور ، وأذاعوا بيانات مختلفة عن الاسلحة . البحري والبري والجوي في دول مختلفة ، وحاولوا التأثير في الرأي العام بواسطة الصحف — كل ذلك لكي يحملوا الدول على التنافس في التسلح لان هذا التنافس سبيلهم الى الثروة والسلطان . ولذلك يقول السر بازيل هد فيلدر « ان شركات يجب ان تكون عظيمة الشكر لما حببت به من النعم . والنعم في نظره طبعاً ، هي زيادة الطلب على المدافع والبنادق والقنابل وسائر الاسلحة التي تصنعها شركته

﴿ السلام ومندوبو مصانع السلاح ﴾ نشرت احدى الصحف في اوائل الصيف انهُ بينما كان جو الاستعداد لاستئناف مؤتمر نزع السلاح رائقاً راجت اشاعة ، أخذت جنيف على حين فجأة ، مؤداها ان الدول قررت فض المؤتمر من دون ان تحاول الخروج من المأزق الذي بلغتهُ المفاوضات . فانطربت جنيف لذلك ، وانطربت معها الدوائر الدولية العالمية ولكن الدول اسرعت الى تكذيب الاشاعة وكان المسيو بارتو وزير خارجية فرنسا من أصرحهم في تكذيبها

وليست هذه الاشاعة بالاشاعة الاولى التي تتعلق بمؤتمر لنزع السلاح أو خفضهِ . ففي سنة ١٩٢٧ لما اجتمع المؤتمر البحري في جنيف استأجرت مصانع السلاح الاميركية وجلاً يدعى شيرر Schurer ليذهب الى جنيف مراقباً بالنيابة عنها ، والواقع ان عمله كان محاولة احباط المؤتمر بكل ما يستطيعهُ من الوسائل ، كالتأثير في بعض المندوبين الذين يستطيع الاتصال بهم ، وخلق اشاعات تؤثر في الرأي العام الاميركي من جهة ، وفي الرأي العام الدولي من جهة اخرى . ولولا اختلاف شيرر بمدفتر مع الشركات التي تدبتهُ على قيمة الاتعاب التي طلبها لما فضحت المسألة . وليست المصانع الاميركية الوحيدة بين مصانع السلاح الكبرى التي تستخدم امثال شيرر ، فقد كتب المستر فيليب نويل بايكر ، سكرتير رئيس مؤتمر نزع السلاح في هذا الصدد ما مؤداه : —

« فنيت معظم ايامي في خلال الستة الشهور الاولى من سنة ١٩٣٦ في أروقة مؤتمر نزع السلاح وما مضى علينا اسبوع واحد في تلك الفترة ، حتى تسمنا باشاعة تتناقلها الالسن ، مؤداها ان الدول قد قررت حل المؤتمر او تأجيله ، وهؤلاء المروجون بارعون كل البراعة في خلق الاشاعات لانهم يحسنون ربطها بتطور المفاوضات ، حتى يسبغوا عليها ظلاً من الحقيقة . وكانت كل اشاعة منها ، تذاع وفي عبارات اذاعتها ، اقوال خفية تشير الى ان ناقليها يملكون من الاخبار السرية ما لا تتسنى معرفتهُ لجميع الناس . فكان الناس — والمندوبون في المؤتمر ناس — يعتقدون حقاً ، ان الوقت لم يحن بعد للبحث في نقص السلاح او خفضهِ دع عنك نزعه ، وكانت هذه الاشاعات في الغالب على اقواها واكثرها ، لما كانت المفاوضات سائرة سيراً حسناً

« كنت أسمع هذه الاشاعات في أروقة المجلس ، وأنا عالم حق العلم — (أليس هو سكرتير رئيس المؤتمر) — ان الدول لم تكن تفكر في حل المؤتمر أو تأجيله بوجه من الوجوه ، فخرجت الى النتيجة التالية

وهي ان هذه الاشاعات تختلق اختلاقاً وليست أملت الدليل على رأي هذا ، وقد لا أستبعد ان يطير عقب حادث آخر من قبيل حادث شيو ومصانع السلاح الاميركية. ولكنني اعتقدت حينئذ وما زال أعتقد الآن ، ان لمصانع السلاح وكلاء يستأجرون خاصة لانصاف الروح المعنوية في المؤتمر ، بحيث الاشاعات على المنوال المتقدم ، وايهام الناس والصحافة والمندوبين أنفسهم بأن نجاح المؤتمر متعذر

«بل انني أعرف أناساً في مقامات رسمية يذهبون الى ابعد من هذا فهم يعتقدون ان مغامرة اليابان في منشوريا وحربها مع الصين في سنة ١٩٣١ أقرت في دوائر اليابان العسكرية بعد اتفاقها مع صناع الاسلحة في أوربا واق تاريخ تلك المغامرة العسكرية رتب خصيصاً حتى يجيء في وقت تكون فيه جمعية الامم قد صدمت صدمة عنيفة عند اجتماع مؤتمر نزع السلاح . ولا أريد ان اتحمل تبعة هذا الاعتقاد ، وانما هناك من الحقائق ما يحول دون اهمالها كل الاهمال . فان عداوة العسكريين اليابانيين ، وصناع الاسلحة الاوربيين للمؤتمر تشير من وجوه مختلفة الى هذه العلاقة وتوضحها . فعندنا اولاً الطلبات الكثيرة للسلاح التي طلبتها اليابان من مصانع السلاح الاوربية . وثانياً السهولة التي دبر بها المال لتسديد ثمن هذه الطلبات بعقد قروض اوربية خاصة لها ، وثالثاً التأييد الذي تناله اليابان في الصحف المتصلة بمصانع السلاح حتى في البلدان التي تطلب صحافتها تأييد جمعية الامم وتعزيزها — ان الادلة متوافرة على ان ذلك الاعتقاد الغريب له ما يستند اليه »

بل هنالك ماهو أغرب من هذه الحكاية . زاد انتاج مصانع السلاح ، زيادة كبيرة بعد قيام هتلر في المانيا ، وتقلده لأزمة الحكم فيها . وليس هذا بالامر الغريب فهتلر قد نفخ في أمته روح الكرامة الغاضبة ، ونزوعاً الى المساواة في سبيل تلك الكرامة . فالناس في اوربا يحسون قلقاً ، مهد السبيل الى المضي في التسلح . وانما يهمنا في هذا المقام ، أن نذكر ، ان مندوبي شركة سكودا — وهو مصنع سلاح كبير في تشكوسلوفاكيا متصل بمصنع شنيدر كروزو بفرنسا — اكتتبوا بمبالغ من المال لتأييد حركة هتلر قبل تقلده الحكم ، مع ان هتلر كان حينئذ صريحاً في أنه يدعو الى تنقيح المعاهدات التي تدافع عنها فرنسا وتشكوسلوفاكيا بكل قواهما . والعبرة في موقف سكودا وشنيدر ، ان قيام هتلر يبعث القلق في أوربا على سلامة كل أمة فتعمد الى التسلح للدفاع عن كيانها . وهذا هو سبيل الربح لهذين المسلحين . بل ان ملكي صناعة الحديد والصلب في المانيا — أي تسن Thyssen وكروب Krupps — اكتتبا كذلك بمبالغ لتأييد الهر هتلر قبل تقلده لمنصب المستشار ، مع أن هتلر كان لا يخفي حينئذ أنه ينوي أن يجعل جميع الصناعات ملكاً للامة . أي أنه كان ينوي أن يجرد تسن وكروب من مصنعيهما

واذا أنت طالعت الصحافة الاوربية ، وهذه الحقائق الاساسية ماثلة بذهنك ، تبينت كثيراً من النتائج التي قد تند عنك في القراءة العادية . فانت تقرأ مثلاً في مجلة «هندوي» الانكليزية عدد مايو سنة ١٩٣٤ العبارة التالية : — « والواقع أن واحداً على الاقل من أصحاب الصحف التي تعادي جمعية

الامم أصنف الصناعة يملك أفراداً من الاسهم في شركة من الشركات التي تصنع الطيارات الحربية »

اقرن هذه العبارة بما تراه مثبتاً في صحيفة الديلي ميل من الدعوة الى تقوية سلاح الطيران البريطاني او تقوية سلاح الطيران الفرنسي ، تدرك ان المقصود هو روذرمير نفسه . ففي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٣ قالت الديلي ميل ان بريطانيا تحتاج الى سلاح جوي اقوى عشرة اضعاف من سلاحها الحالي . وفي الشهر نفسه قالت بتوقيع روذرمير نفسه ان بريطانيا تحتاج الى خمسة آلاف طيارة اذا شاءت الاّ تبقى تحت رحمة جارتها . وفي ديسمبر قالت ان فرنسا القوية ضمان السلام واذن فيجب ان يتألف سلاحها الجوي من ٢٠ الف طيارة . وبعد هذا يدهل على القارىء ان يصل الى النتيجة الصحيحة عن الصلة بين هذه الدعاية وما يملكه صاحبها من الوف الاسهم في شركة الطيران الحربي

بل هناك ما هو ابكى من هذا كله ، لانه مصبوغ بصبغة رسمية . ذلك ان جمعية الامم كانت قد وجهت الى الحكومات اسئلة تتعلق بتنظيم صناعة السلاح في بلادها . فجاء في اجابة الحكومة البريطانية : « ان مصانع السلاح الكبيرة كشركة فكرز ارمسترونج ، تقف جانباً من وقتها فقط على صنع الاسلحة ، واما الباقي فموقوف على مصنوعات لا صلة لها بالسلاح » . هذا جواب رسمي من الحكومة البريطانية . ولكن رئيس تلك الشركة نفسه السر هربرت لورنس قال في خطبة له لحملة اسهم شركته : — « اننا نجتهد ان نوسع نطاق اعمالنا الاخرى . . الاّ ان شركة فكرز ارمسترونج تعتمد في حياتها على صنع السلاح »

وقد جاءتنا ونحن نكتب هذا الفصل بعض نتائج التحقيق الذي تجريه لجنة عينها مجلس الشيوخ الاميركي ، في فضائح صنّاع الاسلحة وتجارها ، فاذا كلُّ ما فيها مؤيد لمجمل ما تقدّم . خذ مثلاً على ذلك شركة اميركية اسمها Electric Boat Co. متفقة مع شركة فكرز ، فقد دفعت هذه الشركة السر باسيل زهاروف ١٥٠ الف جنيه من سنة ١٩١٩ الى ١٩٣٠ عمولة على طلبات السلاح التي جاءتها بها من حكومة اسبانيا . ولما كانت شركة رغز Riggs تحاول ان تبيع مدافعها للحكومة التركية ، بعثت وزارة البحرية الاميركية بالطراد راليه الى استانبول ، لكي يتاح للترك التفرّج على مدافعه وهي من صنع شركة رغز . وسمح لضابط من الضباط العاملين في الجيش الاميركي ان يصبح مستشاراً فنيًّا لحكومة كولومبيا فوضع في مكتب شركة رغز تقريراً يشير فيه على حكومة كولومبيا بشراء مقدار كبير من الذخيرة التي تصنعها تلك الشركة . وفي سنة ١٩٢٩ لمّا كان الجفاء مستحكماً بين بيرو وشيلي اتفقت شركة فكرز وشركة Electric Boat الاميركية على ان تبيع الاولى الاسلحة لشيلي والثانية لبيرو ثم تتقاسمان الأرباح وكتب مندوب هذه الشركة في بيرو يقول انهُ يسعى لكي يعيَّن مندوباً لحكومته في مؤتمر نزع السلاح وغرضهُ حماية مصالح صناع السلاح والذخيرة

هذه نواح من فضائح اصحاب المصالح في صناعة السلاح . وهم يحاولون ان يحيطوا كل مؤتمر لنزع السلاح او خفضه ، ويعرقلوا كل مسعى